



التنمية الريفية

د . مأمون أحمد محمد النور*

تعتبر التنمية من أكثر المصطلحات شيوعاً واستخداماً، كما أنها تمثل الأمل المنشود للبشرية جمعاء، ويرجع أصل الكلمة إلى (نمو) أي الزيادة: نقول (نما الزرع) إذا طال ونضج، واصطلاحاً معناها التطوير والزيادة والتغير المستمر نحو الأفضل، وهي (التنمية)، عملية شاقة تطال جميع أوجه ومجالات الحياة العريضة (اقتصاد، اتصال، السياسة، الاجتماع، التكنولوجيا، البيئة، الإدارة.. الخ). وظهر مفهومها تاريخياً في القاموس السياسي الدولي في مرحلة الخمسينيات من القرن الماضي، وقد جاءت نتيجة للحرب العالمية الأولى والثانية، لذا فإننا نجد أن التنمية نظرياً نابعة من المجتمع الغربي، وفهماً وممارسة فهي نهج بشري قديم، وبصورة عامة فإن تعاريف التنمية جاءت حسب التخصصات العلمية فكل عرف التنمية من خلال مجال علمه.





كما أن هنالك علماء كثيرين وهيئات عالمية عرفت الريف أو المجتمع الريفي.

عرف المجتمع الريفي بأنه شكل من أشكال المجتمع الشعبي وهو الترتيب الذي يشمل البشر الذين يتشابهون في بعض النواحي في جميع أنحاء العالم؟. ينقسم المجتمع إلى طبقتين من يملكون أرضاً زراعية أو يزرعونها عن طريق الإيجار، وتكون حياتهم معتمدة على الأرض، أما الطبقة الأخرى فهم المزارعون الذين ينظرون إلى الأرض على أساس إنها مصدر من مصادر الربح ونوع من أنواع رأس المال. في إيطاليا هنالك تعريف اقتصادي للريف بأنها المجتمع الذي يعمل أكثر من نصف سكانه بالزراعة. وهنالك أيضاً تعريف بأن الريف هو من يعمل غالبية سكانه في الصناعات الأولية وليس الزراعة فقط كما في آسيا وإفريقيا. ففي الولايات المتحدة يتركز تعريف الريف على الأساس السكاني حيث تقول أن المنطقة الريفية هي مجموع سكانها أقل من ٢٥٠٠ نسمة، وفي مصر المنطقة الريفية هي المنطقة التي ليست عاصمة لمحافظة أو مقراً لمركز إداري. أما في السودان فيشمل القري الصغيرة القريبة من المدن. وهناك عدة مفاهيم لأوليات التنمية ويمكن القول إنها سبل تحقيق التقدم الاقتصادي

فالاقتصاديون قالوا إنها (الرؤية التي تتعلق بإحداث نمط مطرد بالبنية الاقتصادية عبر إحداث مزيد من الإنتاج الزراعي والصناعي، تؤدي إلى إحداث نمو اقتصادي). والاجتماعيون ركزوا على (تحقيق متطلبات الإنسان المعيشية وانتشاله من الفقر والحاجة، والنهوض بالمجتمعات من جانب النواحي الاجتماعية عبر التغير الاقتصادي). أما الإداريون فقالوا إنها: (تخطيط منظم يستهدف تغييراً جذرياً في المجتمع من خلال تلبية الاحتياجات المعيشية والترفيهية، وذلك بواسطة الإنسان وللإنسان نفسه). وهؤلاء اهتموا بالكادر البشري وتأهيله وبالتالي تنمية قدرته في كل المجالات ويجب التفريق بين مفهومي (النمو الاقتصادي) و(التنمية الاقتصادية) فالنمو يعني الزيادة المتواصلة في الدخل الحقيقي للفرد الواحد عن طريق تحسين وسائل الإنتاج. أما التنمية الاقتصادية فهي تغيرات اقتصادية كثيرة ينتج عنها النمو. إذن فالنمو تابع من ناحية رياضية والتنمية هي العنصر المستقل، وتبقى النتيجة بأن أي تغيير في التنمية الاقتصادية يصاحبها نمو اقتصادي. مصطلح الريف مصطلح قديم، فابن خلدون أشار إليه ويقابله بمصطلح الحضر. ومنه هذا التعريف لابن خلدون نستطيع أن نقول أن الريف هو المنطقة الأقل من الحضر.



الإنسان هو الهدف النهائي وهو المحرك الرئيسي لها، وبالتالي لا بد من التعرف على حاجاته وتحديد قدراته الكامنة ومن ثم تحريكها علمياً وسياسياً وشعبياً تحريكاً متفاعلاً ومتسقاً. إن التنمية يجب أن توجه للفئات والطبقات الأقل حظاً في فرص العمل والدخل والإنتاج والخدمات والمشاركة. إن محتوى لا تكون تلك هويته، لا يمكن أن يحقق تنمية حقيقية تستهدف انتشار القطاع الأوسع من السكان من قاع التخلف والركود الاقتصادي والاجتماعي والصحي.

التنمية بمن...؟ إن التنمية هي تحريك علمي شعبي وسياسي متفاعل ومتسق، وهذا يتضمن في جوهره ضرورة وجود مشاركة شعبية حقيقية في تخطيط وتنفيذ ومتابعة وتقويم عملية التنمية، ولا شك أن طبيعة النظام الاجتماعي السائد هي التي تحدد محتوى هذه المشاركة ومداها، والمشاركة في توزيع العائد التنموي في حين أن التنمية الحقيقية تتطلب إدارة عملية التنمية من قبل الممثلين الحقيقيين لجماهير الفقراء، وهذا غير ممكن ما لم تتوفر الديمقراطية الحقيقية في المجتمع.

التنمية لماذا...؟ يجب أن تحقق التنمية الأهداف التالية:
- القضاء على الفقر في أخطر مظاهره وهو سوء التغذية وسوء الصحة والجهل والأمية الأبجدية والثقافية والمهنية وبقاء الإنسان معطلاً دون مشاركة في الحياة المنتجة.
- تحقيق سياسة أكثر عدالة في توزيع الدخل.
- القضاء على الخلخلة في الهيكل الاقتصادي وفي أساليب الحياة ومستوى التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والصحي.

والاجتماعي والسياسي الثقافي التي تلبي حاجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال المقبلة على تحقيق حاجاتها الذاتية. وهي أيضاً تعتبر إدارة وصيانة قاعدة الموارد الطبيعية وتوجيه التغييرات التقنية والمؤسسة بالكيفية التي تضمن تحقيق استمرار إشباع الحاجات البشرية للأجيال الحاضرة والمستقبلية ومن ثم فإن من أولويات التنمية المستدامة تتمثل في الحفاظ على كافة الموارد المتاحة واستغلالها بالطرق المثلى التي تعمل على استثمارها وتنميتها، ليس فقط لمقابلة الإحتياجات الحاضرة، بل تكون قادرة أيضاً على الوفاء بما تحتاج إليه الأجيال القادمة في المستقبل.

والتنمية لا تعني إقامة مشاريع إنتاجية وخدمية فحسب وإنما تعني أيضاً التنسيق والربط بينهما بحيث تكون هذه المشاريع مدخلات لمشاريع أخرى ومن هنا تأتي أهمية التنمية في إحداث تغييرات أساسية في العلاقات الاجتماعية والمشاركة في بناء المجتمع وإدارته والاهتمام بالعنصر البشري والاعتماد على مبادرات المجتمع المحلي، الاهتمام بالشباب، التركيز على دور المرأة، التخطيط الجيد لبرامج التنمية والمساندة الحكومية المتلائمة مع التغيير المستهدف، ثم تشجيع ومساندة المنظمات الأهلية والعمل على تكامل أنشطتها.

التنمية إذن هي عملية تغيير مقصودة وموجهة، وعلى بعد التغيير المقصود بعداً أساسياً في التنمية، وإذا انتفى هذا البعد فإنها تتحول إلى مجرد نمو يلامس السطح دون أن يلامس المضمون من قوى منتجة وعلاقات إنتاج. إن هذا التغيير يتحدد في هدفه وعمقه واتجاهاته بالبعد الإيديولوجي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ككل، وكلما وجه هذا التغيير نحو البناء الاجتماعي من طبقات وقيم وعلاقات ومؤسسات اجتماعية في عمقه وأساسه كلما كانت الأهداف المبتغاة من التنمية مضمونة، ومن هنا فإن التنمية أنماط حلول متنوعة لأزمات حياتية يواجهها المجتمع كما تأتي اختياراً اجتماعياً مقصوداً.

التنمية لمن...؟ إن فلسفة التنمية تقوم على أساس أن

- تطوير حضاري شامل للإنسان.

وكما ذكر فإن التنمية هي تغيير اجتماعي موجه يطل أفراد المجتمع من رجال ونساء وأطفال ومسنين، وأن أي تغيير اجتماعي موجه يتطلب توافر عناصر مهمة منها: نظرية اجتماعية للتغيير الاجتماعي، طليعية واعية تقود هذا التغيير الاجتماعي، مؤسسات اجتماعية وسياسية وأهم أدوات هذا التغيير، وعي ثقافي بهذه النظرية واستجابة جماهيرية لها، وتفاعل بين الجماهير الواعية من جهة والمؤسسات السياسية والاجتماعية والظروف المتجددة من جهة أخرى، إذ إن هذه المؤسسات تأخذ وظيفتها الاجتماعية عندما يتفاعل الأفراد معها وتصبح جزءاً من سلوكهم يسائر التقدم ويستوعبه ويعمل على خلق المزيد منه.

إن تحسين أوضاع مجتمعاتنا وخلصها من حالة الفقر التي تعيشها لن تتأتى بدون إحداث تغييرات مهمة من حياتها الاقتصادية والاجتماعية ولهذا جاء الأخذ بأسلوب التنمية المتكاملة لإحداث هذا التغيير. وهي تعرف بأنها استراتيجية موجهة لتحسين الحياة الاقتصادية لمجتمعات الفقراء إذ نعني بتوسيع قاعدة العائد الاقتصادي والاجتماعي من ناتج التنمية يشمل أكثر الناس فقراً، كما سيضع حداً لحياة العزلة والانفصال التي تعيشها هذه المجتمعات على أنه سيتحقق ذلك عن طريق مشاركة المجتمعات بفعالية في إحداث التغيير المنشود، والذي سيؤدي إلى زيادة معدلات النمو القومي.

وقد تطور الاهتمام بالتنمية الريفية من قبل الباحثين ورجال السياسة ورجال الدين، وقد تطور هذا العلم حتى أصبح محل اهتمام الكثير من الباحثين والعلماء والجهات والمنظمات والهيئات العالمية. وهي وسيلة مهمة للتقدم الاجتماعي في العالم النامي. ثم تم الاتفاق على أن



مفهوم التنمية الريفية يعني أسلوب العمل الاقتصادي الاجتماعي في المناطق الريفية يعتمد على مدخل العلوم الاجتماعية، تشجيع المشاركة، الظروف المتاحة، ومجموعة المدخل والأساليب الفنية التي تعتمد على الجهات المحلية وتجمع بين الجهود الخارجية والداخلية لإحداث التغيير المطلوب، وهي عملية تساعد بها المواطنين في التخطيط والتنفيذ والاشتراك في تحديد الاحتياجات الجماعية والفردية والتعرف على مشاكلهم معتمدين على الموارد الذاتية والمساعدات الضرورية من الحكومات والهيئات.

كما أنها استراتيجية لتطوير الحياة الاقتصادية والاجتماعية لفقراء الريف حيث تشمل التوسع في نشر منافع التنمية لمن هم أكثر فقراً في المناطق الريفية وتمتد أهدافها لتغطي جوانب تطوير الإنتاج، وزيادة فرص العمل وتحقيق مستوى أفضل في الدخل والغذاء والمأوى والتعليم والصحة، وهي استراتيجية للتغلب على الفقر وتحقيق مستوى معيشي أفضل في المناطق الريفية، والتنمية الريفية عملية ذاتية داخلية كل مقوماتها موجودة داخل المجتمع كما أنها متغيرة ومستمرة تعتمد على الكوادر المحلية وليس لها درجة محددة وتقوم بترتيب الأولويات وتتم التنمية بصورة متكاملة ومخططة مع خصوصية كل مجتمع والاستفادة من المقومات المحلية والتفاعل مع البيئة، وتهدف التنمية الريفية إلى إحداث التوازن بين الريف والحضر وضرورة وصول التنمية إلى كل قرية في جميع المحليات بالإضافة إلى تقديم الخدمات اللازمة للطبقات محدودة الدخل من أبناء الشعب.

* جامعة السودان